علم المنطق في الجزائر خلال الفترة العثمانية

Logic in Algeria during the Ottoman period

د. بلخير عمراني *

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة (الجزائر)، omranibelkheir@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/27 تاريخ القبول: 2020/10/10 تاريخ النشر: 2020/10/21

الملخص:

تناولت هذه الورقة البحثية إسهامات علماء الجزائر في مجال علم المنطق، وهذا خلال فترة الوجود العثماني في الجزائر، وهدفت إلى بيان جهود العلماء خلال هذه الفترة في حركة التأليف، وفي حلقات العلم، بما يظهر نبوغهم في هذا الفن وعناية الحواضر العلمية به آنذاك.

وقد خلص البحث إلى أن علم المنطق كان من العلوم الأساسية التي قررتها المدارس العلمية الكبرى في الجزائر لطلابها، وعرف هذا الفن مجموعة من الأعلام الذين درسوه داخل الجزائر وخارجها، كما أن إسهاماتهم في مجال التأليف جعلت من بعضها يسيطر على تدريس علم المنطق في العالم الإسلامي ولقرون.

الكلمات المفتاحية: المنطق؛ الجزائر؛ الفترة العثمانية؛ الحواضر العلمية؛ العلوم العقلية .

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research paper dealt with the contributions of Algerian scientists in the field of science of logic, during the period of the Ottoman presence in Algeria, and aimed to demonstrate the efforts of scholars during this period in the authorship movement, and in the scientific forums, in a way that shows their brilliance in this art, and the attention of the scientific metropolis in it at the time.

The research concluded that the science of logic was one of the basic sciences that the major scientific schools in Algeria adopted for their students, and this art was known by a group of scholars who taught it inside and outside Algeria, and their contributions in the field of authorship contributed to the control of some of them on the teaching of the science of logic in the Islamic world for centuries.

Keywords : Logic, Algeria, the Ottoman period, scientific metropolises, mental sciences.

مقدمة:

منذ بداية نزول الوحي وأمره بالعلم والتعليم، ومنذ انبثاق الفكر الإسلامي المتفرع عن نصوص الكتاب والسنة، والأمة الإسلامية تسهم في الحضارة الإنسانية، وتدلي بدلوها في التأسيس للعلوم، أو الإضافة المبنية على جهود من سبق من الأمم، أو حتى حفظ التراث الإنساني من الضياع والتلف، إذ لولا جهود علماء الإسلام في خدمتها لما وصلت إلى الناس كما وصلتهم اليوم، فكانت حركة الترجمة أهم وسائل هذا الحفظ، وبابا من أبواب تلاقح الفكر البشري والانفتاح على علوم السابقين. ولم تكن الفلسفة إلا واحدة من هذه العلوم التي انتقلت إلى المسلمين عبر الترجمة، فحملت إليهم مناهج في التفكير والبحث أثرت الفكر الإسلامي، كما كان لها جانب سلبي استدعى تحديات على مستوى العقيدة لحل الإشكالات التي طرحتها، فعرف المسلمون الفلسفة الأرسطية، والفلسفة الرواقية، وفلسفة أفلوطين، ... وغيرها من الفلسفات، التي تداخلت مع العلوم الإسلامية؛ لا سيما العقيدة، وأصول الفقه، بحكم الصلة الوثيقة بين مباحث هذين العلمين

ومباحث الفلسفة، وأصبحت الحاجة ملحة إلى ضبط مناهج التفكير، وطرق الاستدلال والاستنباط، وأساليب الحجاج والمناظرة، فكان علم المنطق أهم العلوم التي اعتنى بها علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم، والعلم الذي استطاع أن يدخل ضمن اهتمامات الفقهاء والأصوليين، فحظي بالتأليف، والتدريس، والشرح، والاختصار، ... كما حظي بالمناقشة والتوجيه وفق الخصوصية الإسلامية، وبما يخدم العلوم الشرعية، لذلك تتابع العلماء على جعله من المقررات الضرورية لطلاب العلم، ولم تخل حلقة من حلقات العلم من مباحثته، ولم ينل أحد شرف الرفعة والمشيخة دون أن يحوز إجازة فيه.

لقد أسهمت الأمة الإسلامية – على تعاقب دولها – في علم المنطق، وانبرى العلماء له يثرونه، ويؤلفون فيه المتون والشروح والحواشي، واختلفت هذه الإسهامات من دولة إلى أخرى، ومن عهد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، لكنها لم تتوقف عن هذا الفعل الحضاري يوما، ولم يكن العهد العثماني خلوا من هذا الإنتاج الفكري، إذ عرفت الحواضر العلمية خلال هذه الفترة إسهامات لعلماء أجلاء، ولأعلام أفذاذ، قدموا الكثير للمكتبة الإسلامية، وبرزوا في هذا الفن كما برز أئمة من قبلهم. وعلماء الجزائر من هؤلاء العلماء الذين كان لهم دور في خدمة المنطق تأليفا وتدريسا، واشتهر متونهم وإسهاماتهم بين الدول حتى كانت مقررات لكثير من المعاهد العالمية المرموقة، لذلك كانت هذه الورقة العلمية وفاء لحق العلماء علينا، وإبرازا لجهود علماء الجزائر المحمية –كما أحب علماؤنا ذكرها – وهذا خلال عهدها العثماني الزاهر.

إشكالية البحث:

تناول هذا البحث الإشكاليات الآتية:

- ما هي مكانة العلماء الجزائريين في مجال علم المنطق خلال الفترة العثمانية؟
- ما هي مظاهر اهتمام العلماء بالمنطق؟
- ما هي الآثار التي خلفها علماء الجزائر في هذا الفن؟

أهداف البحث:

- بيان إسهامات علماء الجزائر في الحركة العلمية عموما وفي المنطق خصوصا.
- التأريخ لجانب من الحركة الثقافية في الجزائر خلال فترة الوجود العثماني.

- الكشف عن أهم الكتب والتآليف الجزائرية في علم المنطق بما يشكل بيبليوغرافيا تخدم الباحثين والمحققين في هذا المجال.

المنهج المتبع:

لقد اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي لدراسة المؤلفات الجزائرية في علم المنطق، وكذا لدراسة تاريخ الحواضر العلمية، والمنهج الاستقرائي لاستقراء النصوص وبيان مكانة العلماء في هذا العلم وللكشف عن المؤلفات في مختلف المصادر.

1. اهتمام علماء الجزائر بعلم المنطق:

لقد عرفت الجزائر حواضر للعلم يشد إليها الرحال، وبرزت فيها مدن كإشعاع حضاري تفيض على ما حولها بالعلوم النقلية والعقلية والروحية، حتى صارت قبلة للطالبين والسالكين، وأسهمت في الحضارة الإسلامية بما جادت به عقول علمائها فكرا وعلما، "ومن هذه المدن نذكر تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة ووهران والجزائر وعنابة وبسكرة، ففي كل مدينة من هذه المدن عائلات اشتهرت بالعلم والتأليف والتدريس أو بالزهد والتصوف. ومن هذه العائلات عائلة المقَري والعقباني في تلمسان، وعائلة ابن باديس والقنفذ في قسنطينة، وعائلة المنجلاتي والمشَدالي في بجاية، وعائلة ابن السكات بمدينة الجزائر .كما اشتهرت بسكرة بعلمائها أبي زيان ناصر بن مزني وعيسى بن سلامة وأبي محمد عبد الله المعروف بقصيدته في المديح النبوي دار الحبيب أحق أن تهواها ... وتحن من طرب إلى ذكراها.

وعرفت مازونة بعدد من الفقهاء أمثال موسى بن عيسى صاحب (ديباجة الافتخار) و(حلية المسافر)، وابنه يحيى صاحب (الدرر المكنونة) في النوازل. أما مدينة الجزائر فقد اشتهرت بزاهدها وعالمها عبد الرحمن الثعالبي وتلميذه أحمد بن عبد الله الجزائري. كما اشتهرت مدينة وهران بالعالمين المتصوفين محمد الهواري وتلميذه إبراهيم التازي"[1]

ولقد كانت الجزائر قبل العهد العثماني وبعده طريقا للحج، وهمزة وصل بين الشرق الإسلامي وأقصى مغربه، وكانت رحلات الحج والرحلات العلمية تسهم في النهضة العلمية بها من خلال استقرار العلماء، أو انتقال المؤلفات، أو الإجازات،... كما يمكننا أن نشير إلى هجرة الأندلسيين التي نقلت كثيرا من مظاهر الحضارة في الأندلس إلى المغرب الأوسط، إذ اشتغل علماؤها بالتدريس فكونوا خلفاءهم من العلماء والأئمة، وشاركوا في التأليف فتركوا تراثا علميا زاخرا. واحتكروا ميدان

التعليم لا سيما في المدن والحواضر، ونالوا نصيبا في تدريس علوم اللغة والآداب والفن والموسيقى.. وساهموا في تجديد طرق التدريس عن طريق المحاورة والمذاكرة وإلقاء الأسئلة[2]. ويكفي أن نعلم أن من نتائج هذا التأثير أن صار المسجد الجامع بتلمسان يوازي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، والأزهر بمصر[3].

أما في العهد العثماني فقد كانت الجزائر "هي إسطانبول الصغرى، كما سماها بعضهم، في نظمها السياسية والإدارية. ولا تكاد تختلف من حيث النظم عن إسطانبول إلا في بعض التفاصيل، بما في ذلك نظام العلماء. فقد لعب علماؤها نفس الدور الذي لعبه علماء إسطانبول في الحرب والسلم وفي التحرر والثورة أحيانا وفي التنافس على الوظائف والمناصب وفي حماية الدين والدعوة إلى الجهاد، ... كانت كإسطانبول أيضا تستقبل العلماء الزائرين من أطراف العالم الإسلامي"[4]

لقد تنوعت إسهامات العلماء الجزائريين بين مختلف الفنون، وكتبوا في العلوم الشرعية والطب، والهندسة، والحساب، والفلك، والمنطق،... وغيرها من العلوم. وعلى الرغم من قلة التآليف ربما إلا أن إسهاماتهم سجلها التاريخ، ومؤلفاتهم لا تزال زاخرة بها خزائن المخطوطات والتي لم تحقق بعد، ولعل علم المنطق واحد من هذه العلوم التي أخذت نصيبا من اهتمام العلماء تأليفا وتدريسا، وبرزت فيه همتهم، حتى بلغت جهودهم فيه أقطار العالم الإسلامي، وصارت مؤلفاتهم فيه تدرس في حواضر العلم الكبرى، واعتمدت ضمن المناهج التي قررت لطلاب العلم.

وسأذكر ما استطعت الوصول إليه من جهود علماء الجزائر في علم المنطق تدريسا وتأليفا، على سبيل الإجمال لا التفصيل.

2. تدريس علم المنطق في الجزائر:

لا شك أن تآليف المنطق لا تنطلق من فراغ، ولا يهتم بها إلا من مارس هذا الفن دراسة وتدريسا، ولذلك فالمتتبع للدروس العلمية التي درج العلماء على تلقينها وتدريسها، يجد من بينها علم المنطق الذي لا يستغني عنه دارس للفقه وأصوله، وهو الأمر الذي سارت عليه مدارس العلم في الجزائر، إذ فتوى النهي عن دراسة علم المنطق لم تكن تجد لها صدى يذكر، ومما يحفظه التاريخ لنا في هذا المجال تلك "المراسلة التي دارت بين السيوطي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي حول الأخذ بعلم المنطق وأخذ علوم غير المسلمين، إذا كانت حقا. فقد كان السيوطي نهى عن علم المنطق وأورد ما قاله بعض العلماء في ذمه. كما أورد أخبارا في ذم المسلمين الذين يأخذون بعلوم اليهود

والنصارى – ونهى أيضا عن تقليد هؤلاء في علومهم. لكن المغيلي رد حججه وقال إن المنطق هو الحق أو هو المؤدي إلى الحق وأن أخذ الحق يجوز من غير المسلمين لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد وليس معرفة الحق بالناس"[5].

في مدارس تلمسان برز عدد من العلماء الذين درسوا علم المنطق واهتموا به، "فإلى جانب العلوم الشرعية اهتم أبو موسى ابن الإمام بتدريس المنطق والأصلين وعلم الكلام[6]، كما درس أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالي الحديث والفقه والأصلين والفرائض والمنطق والجدل بالمدرسة التاشفينية[7].

أما أبو عبد الله الشريف التلمساني فقد وصفه صاحب البستان الزاهر بأنه كان: " إماما في العلوم العقلية كلها منطقا وحسابا وتنجيما وهندسة وموسيقى وطبا وتشريحا وفلاحة"[8]، ووصفه صاحب شجرة النور الزكية بأنه: " فارس المعقول والمنقول الفهامة المحقق العمدة الحافظ كان من أعلام العلماء والأئمة الفضلاء أعلم من في عصره بإجماع"[9]. ألف شرح جمل الخونجي وهو من أجل كتب الفن انتفع به العلماء وأكبوا عليه قراءة ونسخا[10]، ويبدو أنه كان يدرس شرحه هذا لطلبته، فقد أخذ عنه ابنه جمل الخونجي مما أخذ عنه من كتب وعلوم[11].

وفي تلمسان أيضا أخذ محمد بن إبراهيم الآبلي المنطق عن أشهر علمائها ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى، وكذلك أخذه عن جده القاضي، "واشتغل بالمعقولات فكان فيها أوحد زمانه وعالم عصره، وأوانه وعكف الناس عليه في تعلمها وهو لا يزال في سن المراهقة"[12]. وعن الآبلي أخذ أبو عثمان سعيد العقباني الذي شرح جمل الخونجي في المنطق، وبرع في هذا المجال[13]. وهذه النقول تدلّ على أن تدريس علم المنطق كان من الأساسيات التي لابد لطالب العلم من أخذها، وأن المدرسة التلمسانية قد برعت في المنطق كما برعت في غيره، وخرجت الكثير من الأفذاذ الذين لم يكتفوا بتدريس هذا العلم فقط، بل تعدّوه إلى التأليف والتصنيف.

وإذا يمّمنا نحو بجاية العلم، وإلى قلعة من قلاع الحضارة والفكر وجدنا نظير ما وجدناه في تلمسان، ولا شك أن التأثير والتأثر بارزان بين المدرسة التلمسانية والمدرسة البجائية، فقد كان العلماء يأخذون عن بعضهم، وكما درس تلمسانيون عن علماء بجاية، كذلك درس بجائيون عن علماء تلمسان، وكان حظ الجميع من علم المنطق كحظهم في سائر العلوم.

وإذا شئنا أن نأخذ فكرة عن تعلم المنطق عند أهل بجاية، فإننا ننقل ما حكاه السخاوي عن شيخه أبي الفضل محمد المشدالي، فقد ترجم له في الضوء اللامع ترجمة طويلة بين فيها علو كعبه، ونبوغه في كثير من العلوم، كما حكى رحلته في طلب العلم، ونحن ههنا سننقل ما يعطينا فكرة عن دراسة وتدريس علم المنطق في ذلك الوقت، يقول السخاوي رحمه الله: " وحفظ الشاطبيتين، ورجز الخرازي في الرسم، والكافية الشافية، ولامية الأفعال لابن مالك في النحو والصرف، وغالب التسهيل، وجميع ألفيته، وابن الحاجب الفرعي، والرسالة، وأرجوزة التلمساني في الفرائض، ونحو الربع من مدونة سحنون، وطوالع الأنوار في أصول الدين للبيضاوي، وابن الحاجب الأصلي، وجمل الخونجي، والخزرجية في العروض، وتلخيص ابن البنا في الحساب، وتلخيص المفتاح، والديوان لامرئ القيس، وللنابغة الذبياني، ولزهير بن أبي سلمى، ولعلقمة الفحل، ولطرفة بن العبد، ثم أقبل على التفهم فبحث على أبي يعقوب يوسف الريفي الصرف والعروض، ثم على أبي بكر التلمساني في العربية، والمنطق، والأصول، والميقات، وعن أبي بكر بن عيسى الوانشريسي أخذ الميقات أيضا، ثم على يعقوب التيروني في النحو، ثم على أبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر فيه، والمنطق، ثم على موسى بن إبراهيم الحسناوي في الحساب، ثم الحساب أيضا مع الصرف والنحو، والأصلين، والمعاني والبيان، وعلوم الشرع: التفسير، والحديث، والفقه، على أبيه، ثم على أبي الحسن علي بن إبراهيم الحسناوي أظنه أخا موسى في الأصلين. ثم رحل في أول سنة أربعين إلى تلمسان فبحث على محمد بن مرزوق ابن حفيد العالم الشهير، وأبي القسم بن سعيد العقباني، وأبي الفضل بن الإمام، وأبي العباس أحمد بن زاغو، وأبي عبد الله محمد بن النجار المعروف لشدة معرفته بالقياس ببساطور القياس، وأبي الربيع سليمان البوزيدي، وأبي يعقوب يوسف بن إسمعيل، وأبي الحسن علي بن قاسم، وأبي عبد الله محمد البوري، وابن أفشوش، فعلى الأول في التفسير، والحديث، والفقه، والأصلين، والأدب بأنواعه، والمنطق، والجدل، والفلسفيات، والطب، والهندسة، ...."[14] ، وهذا النص يدلنا على أئمة أعلام درس عنهم المشدالي المنطق، وهم: أبو بكر التلمساني، وأبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر، ومحمد بن مرزوق، كما أنه يمكننا أن نستشف من النص أن جمل الخونجي كان من المتون المنطقية التي كانت تدرس للطلاب.

لقد برع أبو الفضل المشدّالي في المنطق ودرسه فيما درس من علوم أثناء رحلاته العلمية، إذ يذكر ابن أبي عذيبة أنه درس المنطق عند حلوله بالقدس فقال: "الإمام العلامة أوحد أهل زمانه

قدم علينا القدس سنة سبع وأربعين، فأقرأ العضد، وكتب المنطق، والمعقولات، وشهد له الأئمة ببلدنا، وبدمشق، ومصر، وطرابلس، أنه أوحد أهل الأرض، وأنه عديم النظير في جنس بني آدم، وأنني عاجز الآن عن عبارة أصفه بها فإن كل عبارة هو فوقها"[15].

هذا وقد درس أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد الشهاب البجائي المنطق في الأزهر بمصر، وأخذ عنه الأعيان من كل مذهب فنونا كثيرة، بل إنه ألف شرحا لإيساغوجي يدلّ على تمكنه واقتداره[16].

لم تكن قسنطينة بمنأى عن هذه الحركة العلمية، ولا عن التميز العلمي الذي اشتهرت به تلمسان وبجاية، بل إن فيها علماء نبغوا في المعقولات، ودرسوا المنطق وشرحوا متونه، "والغريب أن بعض العلماء قد غلب عليهم المنطق وادعوا التفوق فيه، كما أخبر بذلك عبد الكريم الفكون عن الشيخ علي الغربي بقسنطينة في القرن العاشر 16م، ومع ذلك فقد كان علي الغربي من المفتين والقضاة وأهل الشورى"[17]، وكذلك ينسب لأحمد بن يونس القسنطيني أنه كان مشاركا فيه وأستاذا[18]، وحين "سكن بمكة سنة 864 هـ (1459م) ... تصدى فيها لإقراء العربية، والحساب، والمنطق، وغيرها، فأخذ عنه غير واحد من أهلها والطارئين والمجاورين بها"[19]. بينما تدلنا رحلة إبراهيم بن فائد القسنطيني في طلب العلم على أعلام اشتهروا بتدريس المنطق فأخذه عنهم، مثل: أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالباز، وأبي عبد الله بن مرزوق[20].

أما مدينة الجزائر فكتب التاريخ تذكر لنا أن الإمام عيسى الثعالبي كان من العلماء البارزين الذين أتقنوا هذا الفن، وممن كانت تشد إليهم الرحال في طلبه، فقد قيل إن يحي الشاوي قد اضطر إلى أن يسافر مع شيخه عيسى الثعالبي مسافة ثماني مراحل إلى أن درس عليه علم المنطق، ولكننا لا نجدهم يتحدثون عن كون الثعالبي قد أجاز الشاوي في هذا العلم[21].

أما عبد الرزاق بن حمادوش "فقد قرأ، عندما كان في المغرب، مختصر السنوسي في المنطق على الشيخ أحمد بن المبارك وأجازه به، كما أنه قد صححه في الجزائر على العالم المغربي أحمد الورززي عند زيارة هذا للجزائر سنة 1159، وقد أعطاه الورززي شهادة بذلك تدل على براعة ابن حمادوش في معالجة هذا الموضوع، وشهد لابن حمادوش على ذلك أيضا عدد من علماء الجزائر منهم عبد الرحمن الشارف وأحمد بن عمار، وكان ابن عمار معروفا بعلمه ومروءته، وعند تقريظه

لكتاب (الدرر) أعلن ابن عمار أنه كتاب صغير الحجم كثير الفائدة وأجاز قراءته وشجع عليه، وكان تقريظه له شعرا ونثرا:

هنيئا هنيئا أيا مختصر ... بشرح بديع جموع أغر"[22].

لا شك أن ما ذكرناه يعطي لمحة عن دراسة علم المنطق في الحواضر الجزائرية قبيل العهد العثماني وأثناءه، ويبين أنه كان من العلوم التي ينبغي على طالب العلم أن يدرسها أثناء رحلة الطلب، ولذلك اهتموا به تدريسا وتأليفا، وكثرت شروحهم على المتون المنطقية، كمختصر السنوسي، وجمل الخونجي، وإيساغوجي، ... بل إن علماء الجزائر نبغوا في هذا الفن حتى كانوا يدرسونه في القدس والأزهر.

3. التآليف في علم المنطق في الجزائر:

المتتبع لحركة التأليف في علم المنطق في الجزائر يجد أن أغلبها كان شروحا لمتون، وأن التأليف المستقل والمبتكر كان قليلا جدا، بل حتى المتون التي ألفت وكثرت عليها الشروح كانت مختصرات، أو نظما للعلم، ولعل أشهر متنين ألفهما عالمان جزائريان وشرحهما كثيرون، هما مختصر السنوسي، والسلم المرونق للأخضري، ويأتي بعدهما كتاب "المقولات العشر" للبليدي الذي له شروح أيضا، أما جمل الخونجي وإن لم يكن مؤلفه جزائريا إلا أنه كان معتمدا في التدريس كما رأينا سابقا وله شروح جزائرية تستحق الذكر، وفيما يلي سأحاول تجلية هذه المؤلفات مما استطعت جمعه.

1.3 المتون المنطقية وشروحاتها:

- مؤلفات الإمام محمد بن يوسف السنوسي في المنطق: هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، (832 هـ - 895 هـ/1482م – 1490م) الحسني من جهة الأم، أبو عبد الله: عالم تلمسان في عصره، وصالحها، وله تصانيف كثيرة[23].

لقد ألف السنوسي عددا من المؤلفات في المنطق منها:

- شرح جمل الخونجي.
- شرح إيساغوجي في المنطق: وهو لأبي الحسن إبراهيم بن عمر بن الحسن الرباط بن علي بن أبي البقاعي الشافعي.

- شرح على مختصر الشيخ ابن عرفة في المنطق. قال تلميذه الملالي: "فيه حل صعوبته، وقال لي: إن كلامه صعب سيما هذا المختصر تعبت كثيرا في حله لصعوبته إلى الغاية، لا أستعين عليها إلا بالخلوة.
- مختصر في علم المنطق.
- شرح المختصر في علم المنطق، وهو شرح لكتابه المختصر[24].

والمختصر هو أكثر متن اعتنى به علماء الجزائر تدريسا، وقد قال فيه تلميذه الملالي: "ومختصره العجيب فيه زوائد على الخونجي وشرحه الحسن جدا"[25]، ولهذا المختصر شروح كثيرة خارج الجزائر مصرية ومغربية، لكن ممن شرحه من الجزائريين عبد الرزاق بن حمادوش، "وقد سمي ابن حمادوش عمله بـ (الدرر على المختصر). وهو يقع، كما أخبر بنفسه، في حوالي تسع وسبعين ورقة، (ثماني كراريس) .وقد أشاد به واعتبره من أهم تآليفه"[26]، وقد عرض هذا الكتاب على شيخه أحمد بن عمار الذي قرظه له وأثنى على عمله، وعند تقريظه لكتاب (الدرر) أعلن ابن عمار أنه كتاب صغير الحجم كثير الفائدة وأجاز قراءته وشجع عليه، وكان تقريظه له شعرا ونثرا:

هنيئا هنيئا أيا مختصر ... بشرح بديع جموع أغر"[27].

- متن الأخضري في المنطق:

هو عبد الرحمن بن محمد الأخضري (983 - 918هـ = 1512 - 1575 م)، وهو من أهل بسكرة، وقبره في زاوية بنطيوس (من قرى بسكرة)[28]، من أشهر كتبه كتاب "السلم المرونق في علم المنطق" وهو متن جمع فيه الأخضري أهم مسائل هذا العلم، يقول عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله: " يعتبر عبد الرحمن الأخضري أبرز من ألف في المنطق خلال العهد العثماني، ولم تقتصر شهرة الأخضري على تأليفه هو، نظما وشرحا، ولكن على ما جذب إليه من اهتمام العلماء الآخرين لشرح ودراسة عمله في المنطق، وقد ظلت أعمال الأخضري في هذا الميدان حية ومدروسة إلى هذا القرن، ومن جهة أخرى كان عمل الأخضري في المنطق موضع اهتمام علماء المسلمين في المغرب والمشرق والسودان والهند، كما أنه من الأعمال المطبوعة المتداولة، ومن الواضح أن الأخضري يجيد علم المنطق ولكنه نجح في اختصار قواعده وتوضيحها في متنه المعروف بـ (السلم المرونق)، وفي شرحه الوافي والسهل عليه وهو الشرح الذي أصبح عمدة الأستاذ والتلميذ على حد سواء، وهكذا نجد أنفسنا أمام عمل خالد فرض نفسه على الدراسات المنطقية حوالي أربعة قرون،

ومن أواخر من ترجمه ودرسه وقدمه للقراء الأجانب، المستشرق الفرنسي لوسياني في أوائل هذا القرن"[29].

لقد قام كثير من العلماء بشرح سلم الأخضري، واهتموا به داخل الجزائر وخارجها، وكان هو أول من شرح هذا المتن كما فعل السنوسي لمختصره، ونذكر من الشروح الجزائرية عليه ما يلي:

- شرح الأخضري، وهو لمؤلف المتن.
- شرح الشيخ أبي عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة (1066 هـ)[30].
- شرح الشيخ أبي عبد الله محمد بن خليفة (ت 1094 هـ).
- شرح الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي (ت 1242 هـ).
- شرح السلم المرونق في علم المنطق، لأبي عبد الله محمد بن معزوز المستغانمي (12هـ)[31].
- شرح الشيخ أبي راس الناصري المعسكري (ت 1238 هـ) المسمى "القول المسلم في شرح السلم".

كل هذه الشروح تدل على أهمية المتن، وعلى اقتدار المؤلف وبراعته في هذا العلم، ولذلك قارنه لوسياني (بحديقة الجذور الإغريقية jardin des racines grecques) لكلود لانسلو، كما قارنه حاجي خليفة بعمل إيساغوجي[32].

- شرح جمل الخونجي:

الخونجي (590 هـ 646 هـ/ 1194 – 1248م) هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله، أفضل الدين: عالم بالحكمة والمنطق، فارسي الأصل، وله كتاب "الجمل" في المنطق[33]، من خلال تتبع المناهج المقررة في المدارس الكبرى الجزائرية، وجدنا أن جمل الخونجي قد لقي عناية كبيرة، وتعارف العلماء على شرحه درسا وتأليفا، ونذكر من الشروح الجزائرية عليه:

- نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل، لأبي عبد الله بن مرزوق الحفيد[34].
- رجز جمل الخونجي، لأبي عبد الله بن مرزوق الحفيد[35].
- كفاية العمل، للشهاب أبي جعفر أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن، المعروف: بابن الأستار الندرومي التلمساني[36].
- تلخيص العمل في شرح الجمل للخونجي، لأبي العباس أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ القسنطيني[37].

- شرح الجمل في المنطق، لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي[38].
- شرح جمل الخونجي، لأبي عبد الله الشريف التلمساني[39].
- شرح جمل الخونجي، لأبي عثمان سعيد العقباني[40].
- شرح جمل الخونجي، لأبي الفضل محمد المشدالي، وقد ألفه وهو ابن ثمانية عشر سنة، يقول البقاعي: "شرح جمل الخونجي قبل استكماله ثماني عشرة سنة على طريقة حسنة؛ وهي أنه ينظر في شروحها لابن واصل الحموي، والشريف التلمساني، وسعيد العقباني، وابن الخطيب القشنبليني، وابن مرزوق، فما أجمعوا عليه ساق معناه، وكذا ما زاده أحدهم وما اختلفوا فيه ذكر ما رأى أنه الحق، كل ذلك بعبارة يبتكرها ثم تمم ذلك بما وقع للمتقدمين من علماء المسلمين فمن قبلهم في تلك المسألة مما يرى أنه محتاج إليه من التحقيقات"[41].
وهذا النص يدلنا على شروح أخرى يبدو أن المشدالي كان يرجع إليها.

ولعلّي بهذه النقول لا أستوفي جميع الشروح على جمل الخونجي، ولكن حسبي ما استطعت الوصول إليه، وما اشتهر في كتب التراجم لهؤلاء الأئمة الأعلام.

2.3 مؤلفات أخرى في المنطق:

لم يقتصر تأليف علماء الجزائر في مجال المنطق على الشروح، ولكن تنوع التصنيف بين الأرجوزات، والكتب الأخرى غير ما ذكرناه سابقا، وفيما يلي أحاول استقصاء عدد من التآليف:

- رجز في المنطق، للأبي عبد الله محمد بن أبي زيد القسنطيني (كان معاصرا لابن قنفذ القسنطيني)[42].
- إيضاح المعاني في بيان المباني، لابن قنفذ القسنطيني، قال عنه مؤلفه: " هو سفر شرح لرجز في المنطق، نظمه الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن المراكشي الضرير"[43].
- مقدمة في المنطق، لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي.
- "منح الوهاب" منظومة في المنطق، لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، وله عليها ثلاثة شروح. قال التنبكتي: "وقد شرحها والدي بشرح حسن استوفى فيه"[44].
- شرح على إيساغوجي، لـ أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد الشهاب البجائي الأبدي[45].

- "مرج البحرين"، لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني الإباضي (ت 570هـ).
- "تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين"، لعبد العزيز الثميني (ت 1223 هـ)[46].

هذه بعض المؤلفات التي سجلناها في هذا المقام، وهي التي تبين اهتمام علماء الجزائر بعلم المنطق ونبوغهم فيه وإسهامهم بمؤلفات خالدة لا تزال تزخر بها خزائن المخطوطات والمكتبات الإسلامية، وبعضها محقق وبعضها يحتاج إلى اكتشاف وتحقيق.

الخاتمة:

من خلال ما تم بيانه يمكننا أن نخلص إلى النتائج الآتية:

- اهتم علماء الجزائر بعلم المنطق وبرز عدد من العلماء فيه، بل إن الحواضر العلمية الجزائرية التي كانت تنافس المعاهد الإسلامية العريقة كانت تجعله واحدا من المقررات الأساسية لطلاب العلم.
- لم تكن حلقات العلم تخلو من فن المنطق، وقد كان علماء الجزائر يدرسونه مما يدرسون من العلوم الشرعية باعتباره جزء لا يتجزأ من العلوم التي تدرس، وقد برع عدد من العلماء في تدريسه حتى أخذ عنهم الطلاب في الشرق الإسلامي، وتهافت عليهم الراغبون فيه حيثما ذهبوا.
- أسهمت حلقات العلم في علم المنطق في كتابة المتون والشروح والحواشي، وكانت هي الأساس الذي جعل العلماء يخلّدون دروسهم في شكل مؤلفات تنوعت بين المتون البيداغوجية التي تسهل حفظ العلم، وبين الشروح على المتون، وبين المؤلفات المستقلة.
- كان للمؤلفات الجزائرية شهرتها، وذاع صيتها، وتداولها العلماء في الحلقات في الشرق والغرب، وأكثر متنين اشتهرا في علم المنطق هما: متن السنوسي، ومتن الأخضري، وقد سيطرا على الدرسات المنطقية لقرون طويلة.

المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، ط 2017.
2. محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
3. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ط.

4. عمارة فاطمة الزهراء، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8-9 هـ/14-15م، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمد بن معمر، جامعة وهران، السانيا، الجزائر، الموسم 1430- 1431 هـ/ 2009-2010م.

5. عبد الجليل قريان، التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط – قراءة تاريخية -، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران 01، الجزائر، المجلد 3، العدد 10، 2013/07/16.

6. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، 1326 هـ 1908م.

7. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1349 هـ.

8. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية – الجزائر، ودار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1385 هـ 1965م.

9. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1412 هـ 1992م.

10. الزكلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2002.

11. التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000م.

12. محمد هواري، شرح السلم المرونق في علم المنطق للشيخ سعيد قدورة (ت 1066 هـ 1656م) –دراسة وتحقيق-، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحق زريوح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، الموسم الجامعي 2013/2012م.

13. حبيب بوزوادة، أبو عبد الله محمد بن معزوز المستغانمي (12 هـ)، شرح السلم المرونق في علم المنطق، دار Alpha doc ، ط 2020.

14. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388 هـ 1968م.

15. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد، العراق، ط 1941م.

16. ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 1424 هـ 2003م.

17. الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور: عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، الجزائر، الموسم 1429-1430 هـ / 2008-2009م.

الهوامش:

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، ط 2017 م، ج1/44، 55.

[2] محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 219، 220.

[3] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ط، ص 109.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1/387.

[5] المصدر السابق، ج1/119.

[6] عمارة فاطمة الزهراء، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8-9 هـ/14-15م، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمد بن معمر، جامعة وهران، السانيا، الجزائر، الموسم 1430- 1431 هـ/ 2009-2010م، ص 93

[7] عبد الجليل قريان، التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط – قراءة تاريخية –، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران 01، الجزائر، المجلد 3، العدد 10، 2013/07/16، ص 154.

[8] ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، 1326 هـ 1908م، ص 173.

[9] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1349 هـ، ص 234.

[10] ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 173.

[11] انظر المصدر نفسه، ص 118.

[12] الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية – الجزائر، ودار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1385 هـ 1965م، ج157/2.

[13] المصدر نفسه، ج164/2.

[14] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1412 هـ 1992م، ج181/9.

[15] المصدر نفسه، ج186/9.

[16] المصدر نفسه، ج180/2، 181.

[17] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج149/2.

[18] المصدر نفسه، ج118/1.

[19] الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج286/2.

[20] السخاوي، الضوء اللامع، ج116/1.

[21] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج43/2.

[22] المصدر نفسه، ج152/2، 153.

[23] ينظر الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2002، ج154/7.

[24] التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000م، ص 571، 572.

[25] المصدر نفسه، ص 571.

[26] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2/ 152.

[27] المصدر نفسه، ج152/2، 153.

[28] الزركلي، الأعلام، ج331/3.

[29] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج150/2.

[30] محمد هواري، شرح السلم المرونق في علم المنطق للشيخ سعيد قدورة (ت 1066 هـ 1656م) –دراسة وتحقيق–، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحق زريوح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، الموسم الجامعي 2013/2012م، ص 50.

[31] حققه الأستاذ حبيب بوزوادة، يراجع كتابه: أبو عبد الله محمد بن معزوز المستغانمي (12 هـ)، شرح السلم المرونق في علم المنطق، دار Alpha doc ، ط 2020.

[32] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج151/2.

[33] الزركلي، الأعلام، ج122/7.

[34] ابن مريم، البستان الزاهر، ص 210.

[35] المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388 هـ 1968م، ج430/5.

[36] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد، العراق، ط 1941م. ج2/ 1986. يراجع أيضا، ابن مريم البستان الزاهر، ص 44. وقد ذكره بالأستاذ وليس الأستار كما أورد صاحب كشف الظنون.

[37] ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 1424 هـ 2003م، ص 42.

[38] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 578.

[39] ابن مريم، البستان الزاهر، ص 173.

[40] الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج164/2.

[41] السخاوي، الضوء اللامع، ج185/9، 186.

[42] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور: عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، الجزائر، الموسم 1429-1430 هـ / 2008-2009م، ص 137.

[43] ابن قنفذ، القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، ص 41.

[44] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 578.

[45] السخاوي، الضوء اللامع، ج180/2.

[46] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج153/2.